

(زهوكَ لا يُعطيكَ ما تبتغيه)

ألمجرّدِ أنّكَ كتبتَ نصّكَ الذي تسميّه الأجد

ألمجرّدِ أنّكَ كتبتَ نصّكَ الأجدّ كيفما كان

ألمجرّدِ ذلكَ صرتَ تشعرُ أنّكَ في المقدّمة

أنّكَ تجاوزتَ الشعراءَ كلّهم

أنّكَ تجسّدُ نبضَ العصرِ، نبضَ المستقبلِ البعيد

أنّكَ صرتَ ترى شعراً الشّاطرينِ من الماضي

وترى شعراً التفعيلة ميثلاًه أيضاً

حتى أحرقتَ ديوانَ المُتنبّي وديوانَ السيّداب

وقصيدة رُبّ ورفاء هتوفٍ في الضحى أحرقتّها

حتى صنتُ نفسي عمّاً يُدزّسُ نفسي

حتى شمعة العرسِ ما أجدتِ التأسّي

حتى كتابَ قضايا الشّعْرِ المعاصرِ تخلّصتَ منه

في الحديقة القريبة من منزلِ برنارٍ دفنته

وعبثت بسقف سوق المصّـفارين ليسقط على رأس الخليل

كُلُُّّ هذا لأزّـكـ كتبت قصيدة خطابة لا وزن لها ،

قصيدة تغطّي التعمية تقريريّـتـها

المجرّد ذلك طنت أزّـكـ أنت

فيالك من أنت ، ويا لك من مُبدع نوعي

ويا لإبداعك الذي لم يكن سوى انخراط نمطي في استهلاك الشـكل

في الكتابة على شكل واحد ، فلم هذا الاستعلاء

هو أعدى أعدائك فاقص عليه قبل أن يقضي عليك

قبل أن يقضي عليك الانبهار بما أنت عليه ، بما أنت تائه فيه

حتى نصّـك الأجدّـ لم يـُـخرج موهبتك من القوّة إلى الفعل

إنّـك تعترف بذلك إنّ خلوت مع نفسك

في لحظة صدّق ، في لحظة انقشاع انبهارك تعترف

تلوم نفّـسك التي أوفعت موهبتك في حـيّـص بـيّـص

ترى لـُغتك الإجرائيّة لا تعكس حقيقة موهبتك في نصّـك

لـُغتك الناسجة على منوال تجريبي

على منوالٍ أثبتت الأيامُ فشلهُ ، أثبتت تلاشيهِ

مثلما فشلَ إزبُ فينيقيا ، مثلما تلاشت اليوميّاتُ الخطابيَّةُ الجافة

يوميّاتُ مَنْ حسبَ أنَّ العالمِيَّةَ تُمدِّجُ لِمَنْ يتغذَّى بكلِّ حاناتِ العالمِ

لِمَنْ يتحاشى ما يقعُ ضمنَ نطاقِ محلِّيَّتهِ ، ضمنَ نطاقِ بيئتهِ

لِمَنْ يُثقلُ النصوصَ بأسماءِ مدنٍ وطبيعةٍ ليس فيها بويب

ليس فيها شباكُ و فيقة ، ليس فيها جيكور

ليس فيها جبلُ التوبادير ، ليس فيها جبلُ رضوى

ليس فيها جبلُ القارة ، ليس فيها سوقُ الدعيدع ، ليس فيها سوقُ عكاظ

ليس فيها ، ليس فيها ... فيالبعدِ تيهك

ويا لكَ مِنْ تحريريٍّ صرتَ إلى ما صرتَ إليه

فلا لفظُك صار يُرضيكَ ولا معنَاك

تشعرُ بنوبةِ اكتئابٍ كُلَّما فرغتَ مِنْ كتابةِ نصٍّ مِنْ نصوصك

تقولُ لهُ ثكلتكِ أُمُّكَ لِمَ لِمَ تكنُ كما أريدُ

تُهمِّسُ تُتعبُ فِكركَ في محاولةِ العثورِ على علَّةٍ للإخفاق

وكثيراً ما تَلجَأُ إلى فلسفةٍ تُبرِّرُ بها إخفاقَ نصوصك

تَجْعَلُ مِنْهُ كَسْرًا لِنَمْطٍ سَاد

ثُمَّ تَشَقُّ جَيْبَكَ الْغَائِرَ فِي قَرَارَةٍ ذَاتِكَ

تَصِيحُ وَيْلِي، وَيْلِي، أَنَا الْغَارِقُ فِي النَّمْطِيَّةِ مِنْ رَأْسِي إِلَى أَخْمَصِ قَدَمَي

كُلُّ هَذَا حَوَارٌ دَاخِلِيٌّ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ

لَكِنَّكَ لَمْ تَكُنْ جَادًّا فِي وَضْعِ يَدِكَ عَلَى الْعَلَسَةِ وَفِي عِلَاجِهَا

فَلَقَدْ رَحْتَ تَبْحَثُ عَنْ حَلٍّ وَقْتِيٍّ سَرِيعٍ

عَنْ صَدِيقٍ يُرِيحُكَ، يَكْتُبُ عَنْ نَصُوصِكَ

يَسْتَفِيزُ بِنَأْوِيلِ إِخْفَافَتِكَ كَمَا تَسْتَفِيزُ بِمَسَارَةٍ فِي تَأْوِيلِ خُطُوطِ فَنَجَانٍ مَعُوجَةٍ

يَجْعَلُ خَطَأَكَ انْزِيحًا دَلَالِيًّا لَمْ يَسْبِقْكَ إِلَيْهِ أَحَدٌ

يَجْعَلُ تَعْدُّكَ عَلَى اللُّغَةِ جَرَأَةً فِي مَحَلِّهَا

حَتَّى بَرُودِ نَصِّكَ الْفَاتِلِ يَجْعَلُهُ تَخَلُّصًا مِنْ غَنَائِيَّةٍ مُسْتَهْلَكَةٍ

يَجْعَلُهُ جَاذِبِيَّةً صَامِتَةً تَأْخُذُكَ إِلَى مَجَالٍ خَصْبٍ، إِلَى آفَاقِ التَّأَمُّلِ

يَجْعَلُهُ، يَجْعَلُهُ ... فَلَا أَسْهَلَ مِنْ نَقْدِ إِطْرَائِيٍّ تَزْوِيقِيٍّ

مَا أَسْهَلَ أَنْ يَتَفَوَّسَ خِيَالُ تَحْلِيلِ مَنْتَجِكَ الْإِطْرَائِيِّ عَلَى خِيَالِ نَصُوصِكَ

مَا أَسْهَلَ أَنْ يُرِيحَكَ صَاحِبُكَ مِنْ أَلَمِ صَدْقِكَ مَعَ نَفْسِكَ إِنَّ خُلُوتَ بِهَا

ما أسهل ذلك، لكنّ قلّ لي هل يمنحُ الإطراءُ نصّكَ شيئاً منّ حياة

هل يمنحُكَ الإطراءُ الوقتيّ حياةً بعد موتك

إنّكَ تعرفُ الجوابَ مثلما أعرفُهِ أنا، أنا وصاحبُكَ الذي أشادَ بك

تعرفُ ولا تُرتّبُ أثراً على عرفانك

مثلما تحضرُ تشييعَ ميّتٍ تتردّدُ عليه

تحيا فقدّه وتعرفُ أنّك ستُحمَلُ مثلما يُحمَلُ

تعرفُ لكنّك لا تُرتّبُ أثراً على عرفانك

كعرفانك ببرودِ نصّكَ المُملِّ القاتل

بروده الذي لا يجعلُ لكَ قُرباءَ حقيقيين

إلا تسعة أنفاريّ أهديتهم ديوانك في حفلٍ توقيعٍ باردٍ أيضاً

يُجاملونكَ با بتساميّةٍ جليديّةٍ نُمّ ينفضُون منّ حولك

يقرأُ واحدٌ منهم لكَ لقراءتكَ له

يكتبُ عن ديوانكَ مثلما كتبتَ عن ديوانه

نُمّ وحدكَ تقرأُ ما كتبَ وحدك

وحدكَ مثلما قرأَ هو وحدّه ما كتبت

هذا هو مجدُّكَ الذي صار على هذه الكيفيَّة

مجدُّكَ الذي ينبعُ منه زَهْوَكَ

زَهْوَكَ الذي لا يُعطيك ما تبتغيه.